

الإحالة بـ (أل) العهدية، ودورها في التماسك النصي آيات من سورتي (البقرة) و(هود)

د. زياد يوسف أبو يوسف *

أ. محمد مصطفى الشامي *

المخلص

سيحاول البحث الوقوف على صورة من الصور التي تؤدي إلى التماسك النصي، وهي الإحالة بأل العهدية، موضحاً أل العهدية، ومبيناً أضرابها الثلاثة: الذكرى، والذهني، والحضوري، مع بيان للإحالة في العربية وأهميتها، ثم مظهراً دور الإحالة بأل العهدية بأضرابها الثلاثة في التماسك والترابط النصي في الخطاب وإظهار دورها في أداء المعنى. وسيعتمد البحث على كتب أهل اللغة وعلماء النحو الذين أفاضوا بالحديث عن أل العهدية، وعن الإحالة، كما سيعتمد على كتب التفسير وعلوم القرآن الذين أوضحوا الكلمات المقرونة بأل العهدية ودورها في التماسك والترابط النصي.

Abstract

The research seeks to examine the form of referring to the article used to indicate previous knowledge (Al-ahdiyyah) that leads to textual cohesion. The research also illustrates the three types of al- ahdiyyah: remembrance, mentality and presence, highlighting its role in textual cohesion and coherence in the discourse and determining the exact meaning.

It is worth mentioning that research is based on the books of linguists and grammarians who elaborate on al-ahdiyyah and its reference moreover, the research depends on the books of exegesis and the sciences of the Quran that illustrate words connected with al-ahdiyyah and its role in textual cohesion and coherence.

الإحالة ب (أل) العهدية، ودورها في...

توطئة:

لقد اهتم العلماء منذ القدم بصور التماسك النصي للخطاب، وقد اعتمدوا على العديد من الوسائل أهمها خمسة، وهي: الإحالة، والإبدال، والحذف، والربط، والتماسك المعجمي (Cohesion in English، 1976: p2). فدراسة النص يبنني على دراسة كلماته وعلاقة تلك الكلمات ببعضها، وكل ذلك يكون من خلال دراسة وسائل التماسك النصي التي تعد الإحالة وسيلة مهمة من وسائله، والإحالة بـأل العهدية هي نوع من أنواع الإحالة، والتي أسهمت في إبراز التماسك النصي. "وتعد دراسة علاقات الكلمات في الخطاب جوهر النظرية النصية التي تدعو إلى تجاوز حدود الجملة إلى بنية النص الكاملة المستقلة، والتي ترتبط بمرسل للفعل اللغوي والمتلق له، وقناة اتصال والمتلقي بينهما، وهدف يتغير بمضمون الرسالة، وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل". (البحيري، 1997: 110)

ومن المؤلف أن يعيد المتحدث الألفاظ في العبارات والجمل والتراكيب التي تتحد في دلالتها، وهنا يأتي دور الإحالة لتعالج هذه المشكلة، إنها تقوم بوظيفة الاقتصاد والثبات المعنوي، فاستخدام نظام الإحالات هو من قبيل الإيجاز والاختصار. وبالإضافة إلى الإيجاز، تؤدي الإحالة إلى الدقة الدلالية؛ حيث يعود اللفظ إلى شيء سابق دون تكراره، فنكراره يؤدي إلى خلط حين يتكرر داخل النص الواحد، ومن هنا يمكن الخروج من رتابة الأسلوب مع إحكام السبك باستخدام وسائل مختلفة، تأتي في مقدمتها الإحالة.

ويحقق هذا المنهج فائدة بالغة في تحليل النصوص وفهمها؛ ذلك أنه يدعو إلى تطبيق النظرة الكلية للنص، والنظر في أنواع النصوص ومضامينها المختلفة وعلاقة النص بأركان التواصل، وانسجام النص، وتماسكه والربط بأدواته المختلفة، وأنواع التراكيب، والعلاقات بين الجمل، وكلها أمور لا يتأتى تفسيرها إلا من خلال وحدة النص الكاملة.

لهذا كله ولإبراز دور الإحالة في التماسك النصي، وإظهار دورها في أداء المعنى، أردنا أن نسهم في الحديث عن وسيلة من هذه الوسائل، وهي الإحالة بـأل العهدية والتي تؤدي دوراً مهماً في

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

التماسك النصي للخطاب.

وخلال هذا البحث سنسلط الضوء على تعريف لأل العهدية وبيان أضرئها، ثم الحديث عن الإحالة وأنواعها أيضاً، ثم الحديث عن دور الإحالة بأل العهدية في التماسك النصي. وقد اعتمدت الدراسة على (المنهج الوصفي) الذي يدرس ظاهرة لغوية معينة من جوانبها المختلفة في فترة زمنية معينة، مستعينا بالمنهج التحليلي.

المبحث الأول

أل العهدية

العهد لغةً:

العَهْدُ: كل ما عُوِّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وكلُّ ما بين العباد من الموائيق فهو عَهْدٌ. وأَمُرُ الْيَتِيمِ مِنَ الْعَهْدِ، وفي الآية: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾. (النحل/91)، وكلُّ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَنَهَى عَنْهُ، والعهد الوصية. والعَهْدُ: التَّقَدُّمُ إِلَى الْمَرْءِ فِي الشَّيْءِ. والعهد: الذي يُكْتَبُ لِلْوَلَاةِ. والعَهْدُ الْمَوْثِقُ واليمين، والعهد: الوفاء، ويقال: عَهَدْتُه عَلَى فُلَانٍ أَي مَا أُدْرِكُ فِيهِ مِنْ ذَرْكَ فِإِصْلَاحِهِ عَلَيْهِ، وقولهم: لَا عَهْدَةَ؛ أَي لَا رَجْعَةَ. والعَهْدُ: الْحِفَاظُ وَرِعَايَةُ الْحُرْمَةِ، ويقال عَهْدِي بِفُلَانٍ وَهُوَ شَابٌّ؛ أَي أُدْرِكُهُ فَرَأَيْتُهُ كَذَلِكَ، ويقال: مَتَى عَهْدُكَ بِفُلَانٍ؟ أَي مَتَى رُوَيْتُكَ إِيَّاهُ. والعَهْدُ الْمَنْزَلُ الَّذِي لَا يَزَالُ الْقَوْمُ إِذَا انْتَأَرُوا عَنْهُ رَجَعُوا إِلَيْهِ. والعَهْدُ الْمَنْزَلُ الْمَعْهُودُ بِهِ الشَّيْءُ. (ابن منظور، عهد 1956: 311/3):
والعهد: الالتقاء، وَعَهَدَ الشَّيْءُ عَهْدًا: عَرَفَهُ. ومن العهد أن تعهد الرجل على حال أو في مكان يقال: عهدي به في موضوع كذا أو في حال كذا، وعهدته بمكان كذا أي لقيته وعهدي به قريب، والمعهود الذي عَهَدَ وَعُرِفَ، والعهد المنزل المعهود به الشئ. (ابن منظور، عهد 1956: 311/3).
وهو ما عهدَ المخاطبُ مدلولَ مصحوبه قبل ذكره، أي لقيه وأدركه، يقال: عهدت فلاناً أي أدركته. (الأسترايادي: 1978، ص242/3).

يلاحظ من المعاني السابقة وسياقات استعمال (العهد) أنها تتفق في كونها علاقة بين طرفين تتجدل من معانٍ ثلاثة، هي: الحفاظ، والرجوع، والمعرفة، ويستطيع المتأمل أن يردّ بقیة المعاني إلى هذه

الإحالة ب (أل) العهديّة، ودورها في...

الجديلة المؤتلفة من الإعلام بشيء، كي يُحفظ فيرجع إليه في وقت لاحق. (أنيس، 2008: 143).
العهد اصطلاحاً:

المقصود بالعهد اصطلاحاً: الأمر المتفق عليه بين المتكلم والسامع؛ فهو أمر محدد مفهوم لكل منهما، فتدخل (أل) على الاسم لإفادة المعنى السابق. (عيد: د، ت، ص 187).
فإذا أراد المتكلم واحداً بعينه معهوداً بينه وبين المخاطب استخدم (أل) العهديّة؛ كقول القائل: (لقيت رجلاً)؛ فيقول المخاطب: (وما فعل الرجل)؛ أي المعهود بين المتكلم وبين المخاطب في الذكّر. أو تكون معه في حديث رجل ثم يأتي ذلك الرجل، فتقول: وافى الرجل؛ أي: الذي كنا في حديثه وذكره وافى. (ابن يعيش: 2001، 349/3).

وقد جاء في كتاب سيبويه: "إنّ نحو (الرجل) و (الفرس) ونحوهما وإنّما صاروا معرفة لإرادتنا شيئاً بعينه دون سائر أمته؛ لأنك إذا قلت: مررتُ برجلٍ، فإنك إنّما زعمت أنك إنّما مررت بواحدٍ ممّن يقع عليه هذا الاسم، لا تريد رجلاً بعينه يعرفه المخاطب، وإذا أدخلت (أل) فإنّما تُذكّر رجلاً قد عرفه، فتقول: الرجل الذي من أمره كذا وكذا؛ ليتوهم الذي كان عهدّه ما تُذكّر من أمره." (سيبويه: 6/1988، 2)

❖ الفرق بين أل العهديّة وأل الجنسية:

ف (أل) العهديّة يراد بمصحبها فرد معيّن، وأما (أل) الجنسيّة فيراد بمصحبها كلّ الأفراد حقيقةً أو مجازاً. (المرادي: 1992، 195).

فأل الجنسية تعمّ أفراد الجنس كافة؛ نحو كلمة (الإنسان) في قوله تعالى: ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ (النساء، 28)؛ أي خلق كلّ واحد من جنس الإنسان ضعيفاً؛ فالكل ينسب للإنسان بخلاف (أل) العهديّة التي إذا أطلقناها وقصدنا بها إنساناً معيّنًا تصبح للعهد؛ فالفرق بينهما أن (أل) الجنسيّة تعمّ الجميع و(أل) العهديّة تخصّ فئة معيّنّة من المقصودين.

❖ نوع (أل) في الإعلام:

وأصل (أل) التي في الإعلام بالغلبة هي (أل) العهديّة، وذلك إذا كثر عهد فرد من أفراد جنس

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

بين طائفة أو قوم صار اسم جنسه مع (أل) العهدية كالعلم له، ثم قد يتعهدون مع ذلك المعنى الأصلي كما في: (النجم) للثريا، و(الكتاب) للقرآن، و(البيت) للكعبة، وقد يُنسى المعنى الأصلي إما بقلة الحاجة إليه كالصعق علم على خويلد بن نفيل، والصعق رجل من بني كلاب، قالوا: إنه كان يطعم الناس بتهامة فهبت ريح سقت في جفانه التراب فسبها فرمي بصاعقة فقتلته، فعرف بالصعق وعرف بعض أولاده بابن الصعق، (الأسترايادي: 1978، 367/1)، وإما بانحصار الجنس فيه كالشمس. (ابن عاشور: 1984، 708/1). فالكلمة المشتملة على (أل) العهدية تكون معهودة بين اثنين هما: المتكلم والمخاطب.

والأمثلة السابقة على غاية الأهمية، وهي تشرح جانباً من تكون عملية التبادل المعرفي عبر (أل) العهدية؛ فالعهد يتكون نتيجة لوجود معلومات سابقة مشتركة بين المرسل والمخاطب؛ فالمرسل يعرف أنها موجودة لدى المتلقي، وهذه المعلومات المشتركة تحصلت إما عبر كثرة الاستعمال بسبب انحصار الجنس في اللفظ المعهود، مثل: الشمس، والأرض، والنجم، والقمر، وإما عبر السياق الثقافي كإطلاق لفظ "الصعق" على خويلد بن نفيل. (الأسترايادي: 1978، 708 / 1).

❖ عناصر (أل) العهدية:

ولابد في تعريف (أل) العهدية من ثلاثة عناصر رئيسة هي: المعهود، والمتكلم والمخاطب، فالمعهود هو الكلمة المشتملة على (أل) العهدية، فهو مذكور ومعهود بين المتكلم والمخاطب، أما المتكلم فهو من قال الكلام المشتمل على المذكور لإيصاله للمخاطب، أما المخاطب فهو من قام بتسلم الخطاب أو الجملة.

فالخطاب يدور بين متكلم ومخاطب وبينهما رسالة يراد إيصالها هي الخطاب (أل)، ولا بد من وجود قرينة لفهم الرسالة، وهذه القرينة هي الكلمة المعهودة المتفق على معناها بينهما؛ فدلالة (أل) في الكلمة هو العهد لهذا المخاطب بالرسالة الموجودة بين المتكلم والمخاطب، ولا ريب أن مقصد المرسل والمعلومات والبيانات التي يمتلكها يشكّلان وسيطين للمستقبل أو المخاطب.

الإحالة ب (أل) العهدية، ودورها في...

❖ فائدة (أل) العهدية:

وفائدتها أنها تفيد النكرة درجة من التعريف تُقربها من درجة العَلَم الشخصي، وإن لم تبلغ مرتبته وقوّته؛ وإنما تجعلها في المرتبة التي تليه مباشرة. (حسن: 1974، 425/1) وهي تغني عن التكرار، وبذا تعدّ عنصراً مهماً من عناصر تماسك الخطاب.

فهي كذلك تتصف بجمالية خاصة لا نجدها في غيرها؛ لما تقوم به على علاقات تلويحية ذهنية جميلة كما في قوله تعالى: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾. (آل عمران:36). فالسامع كان يتمنى أن يرزق بذكر فجاءه الخطاب الإلهي ليقول له: ليس الذكر الذي طلبتَ مثلَ الأنثى التي وهبت لها لتقوم على رعايتها... وصيانتها. (جمعة، 137:2001) ونرى أنّ وظيفة (أل) ليست شكلية على الإطلاق، بل هي جزء فاعل في صناعة الدلالة، وهي أداة مهمّة وفاعلة في تماسك النصوص. بل لا أبالغ إن قلت إنّها عماد مهم من أعمدة نظام الإحالة في العربية.

المبحث الثاني _ أضربُ (أل) العهدية:

يقسم النحاة (أل) العهدية إلى الأضرب الآتية:

• الضرب الأول _ (أل) العهد الذكري:

- أولاً تعريفها:

هي ما عُهد مدلول مصحوبها بحضور حسّ (أي ذكري)، بأن تقدّم ذكره لفظاً فأعيد مصحوباً ب (أل) (السيوطي: د، ت، 309/1)؛ أي التي يتقدّم المعرف بها ذكراً في الكلام، وضابطها أن يسدّ الضمير سدّه. (حبنكة، 1996: 437/1).

والمعهود في الذكر قد يكون مذكوراً صراحةً باللفظ، وقد يكون مذكوراً على سبيل الكناية. (الصبان: د، ت، 43/3).

فالفيد هنا الذي قيده بالعهد هو (أل) التعريف، والقريظة هي سبق الذكر، وأمّا الإحالة فيه فتكون داخلية قبلية.

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

ومن الصور الشائعة لـ (أل) العهد الذكري في القرآن الكريم أن تسبق الكلمة المعهودة بكلمة نكرة كي تمهد النكرة للكلمة المعرفة كقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا*فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾. (المزمل: 16). فسبقت الكلمة المعهودة (الرسول) بكلمة نكرة هي (رسولا). وليس بالضرورة أن تكون اللام الثانية في مثل هذه الصورة السابقة للعهد الذكري، فقد وردت حالات عدة تكون الثانية (أل) جنس وليست (أل) عهد، رغم أنها سبقت بالكلمة ذاتها مُنكرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. (النساء/128). فالصلح الأول خاص وهو الصلح بين الزوجين، والثاني؛ عام ولهذا يستدل بها على استحباب كل صلح جائز. (أنيس، 2008: 227)، ونحوها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾. (يونس/36).

- ثانياً فائدتها:

أما فائدتها فتكمن في التنبية على أن اللفظ الثاني هو الأول نفسه، إذ لو جاء بالثاني منكراً لتوهم أنه غيره، ولذلك لا يجوز نعته. (الأزهري: د، ت، 1/181). فوظيفة (أل) العهدية جاءت للربط بين النكرتين ربطاً معنوياً يجعل معنى الثانية فرداً محدوداً محصوراً فيما دخلت عليه وحده، والذي معناه ومدلوله هو النكرة السابقة ذاتها. وهذا التحديد والحصر هو الذي جعل الثانية معرفة؛ لأنها صارت معهودة عهداً ذكرياً؛ أي: معلومة المراد والدلالة، بسبب ذكر لفظها في الكلام السابق ذكراً أدى إلى تعيين الغرض وتحديده بعد ذلك، وأن المراد في الثانية فردٌ معين؛ هو السابق. (حسن: 1974، 1/424).

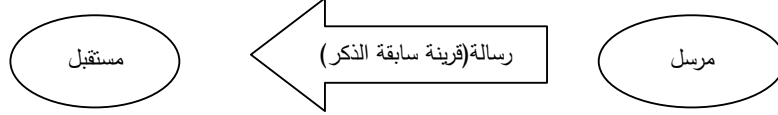
- ثالثاً آلية تبلور الدلالة عبر (أل) العهد الذكري:

ويمكننا أن نوضح آلية تبلور الدلالة عبر (أل) العهد الذكري من خلال التصور التالي: يتحدث المرسل بالكلام الذي يريده، وهو ما أسميه (رسالة)؛ فالكلام هنا عبّر عن رسالة تصل لمستقبلها، وهذه الرسالة تشتمل على قرينة سابقة الذكر معهودة بين (المستقبل) و(المرسل)؛ لذا هناك دلالة أو علامة مشتركة تسهل عملية وصول الرسالة، نحو: لو قال الأب لابنه: سيأتي رجل

الإحالة ب (أل) العهديّة، ودورها في...

عندنا فاذهب انتظر الرجل. وهذا الشكل يوضّح هذه العملية التي تتم:

مرسل _____ علاقة سابقة الذكر _____ مستقبل الرسالة



• الضرب الثاني _ أل العهد الذهني:

- أولاً- تعريفها:

المعرّف بأل العهد الذهني اصطلاحاً: فهو ما يعرفه المتكلم والمخاطب ويكون معهوداً بينهما، ولكنّه لم يتقدّم له ذكر أصلاً، ولم يكن عند التكلّم حاضراً. (ابن هشام: 2000، 316/1). ويسمى علمياً (حسن: 1974، 424/1)؛ أي معلوماً عند المتكلم والمخاطب.

ف (أل) العهد الذهني تحدد المراد من النكرة، وتحصره في فرد معين تحديداً أساسه علم سابق في زمن انتهى قبل الكلام، ومعرفة قديمة في عهد مضى قبل النطق، وليس أساسه ألفاظاً مذكورة في الكلام الحالي. (حسن: 1974، 424/1). أمّا القيد في العهد الذهني فهو (أل) التعريف، والقرينة هي العلم به. وأمّا بخصوص الإحالة فيه فتكون إحالة داخلية بعدية؛ أي هي في داخل الكلام، ولكن تأتي بعد النطق بالكلمة المشتملة على (أل) للعهد الذهني، لأنّ إحالتها تكون في الذهن فتظهر بعد النطق بها.

- ثانياً- أقسام المعهود بأل العهد الذهني:

ينقسم المعهود ب (أل) العهد الذهني إلى قسمين، هما:

1- معهود ذهن بشخصه المعين؛ أي المعروف بعينه وبذاته، ومثاله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾. (حبنكة، 1996: 441/1، والآية من سورة طه: 12).

فلم يسبق نِكْرُ للفظ (الوادي) لكن سبق العلم به؛ فهو معهود ذهنياً؛ ف (أل) المعرفة له هي للعهد الذهني (أي العهد العلمي). (حبنكة، 1996: 441/1).

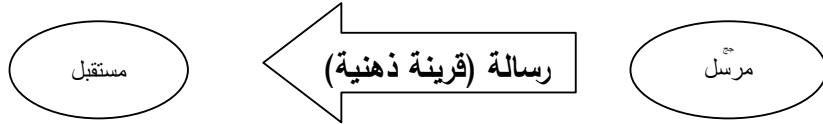
د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

2- معهود ذهن بحقيقته ضمن فرد مُبهم غير معيّن بشخصه، والمعروفُ بهذه الألف واللام، للدلالة على حقيقته ضمن فرد مبهم، لفظً يعامل معاملة المعرفة، لكنّ معناه يُعاملُ معاملة النكرة؛ لأن المعهود بها غير معيّنٍ بشخصه. (حبنكة، 1996: 442/1).

ومثاله ما جاء في قول الله - عزّ وجلّ- حكايةً لمقالة يعقوب لبيته بشأن يوسف عليهما السلام: ﴿قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾. (يوسف: 13). فلفظ (الذنب) يطلق على أيّ ذنب فمعناه كمعنى النكرة، لكنها عرّفت الحقيقة الملاحظة في الذهن، ولم تُعرّف ذنباً معيّناً بشخصه، وهذه الحقيقة الذهنية الواحدة تنطبق على ذنبٍ ما أيّ ذنب. (حبنكة، 1996: 442/1).

- ثالثاً- آلية تبلور الدلالة عبر (أل) العهد الذهني:

ويمكننا أن نوضّح آلية تبلور الدلالة عبر (أل) العهد الذهني، وذلك من خلال التصرّو التالي: فالعملية هي ذاتها في (أل) العهد الذكري، إلا أن الخلاف يكون في عدم وجود قرينة سابقة الذكر في النص، بل القرينة تكون ذهنية قائمة على المخزون المعرفي بين المرسل والمستقبل، مثال: طالب يسأل زميله هل ذهبت إلى الجامعة؟ فكلمة (الجامعة) مشتملة على (أل) العهد الذهني أي معهودة ذهنياً بين المتخاطبين، فالإحالة خارجية. وهذا الشكل يوضح العملية السابقة: مرسل (المتكلم) _____ رسالة (النص) _____ مستقبل الرسالة (المخاطب)



• الضرب الثالث: أل العهد الحضور.

- أولاً- تعريفها:

عرفها ابن يعيش بقوله: "وأما تعريف الحضور فهو قولك لمن لم تره قط ولا ذكرته: (يا أيها الرجل أقبل)؛ فهذا تعريف لإشارتك إلى واحد بعينه. (ابن يعيش، 2001: 20/9)", نحو قوله

الإحالة ب (أل) العهديّة، ودورها في...

تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. (المائدة:3)، ف (أل) التي في لفظ (اليوم) المعرّفة له تُشير إلى اليوم الحاضر الذي نزلت فيه الآية، وكان يوم عرفة في حجّة الرسول - صلى الله عليه وسلم-. (حبنكة، 1996: 443/1) و(أل) العهد الحضورى هي أقوى أنواع (أل) التي للعهد. (حسن، 1974: 212/1) والقرينة هنا هي (أل) التعريف أمّا القيد فهو وجود هذا الشيء وحضوره، والإحالة تكون خارجيّة أي خارج النص (في المقام) فهي موجودة وحاضرة.

وقد ذهب بعض النحاة - ومنهم ابن عصفور - إلى حصر وقوع (أل) العهد الحضورى بعد:

- 1- أسماء الإشارة، نحو قولنا: (جاعني هذا الرجل).
 - 2- أو بعد (أي) في النداء، نحو قولنا: (يا أيها الرجل).
 - 3- أو بعد (إذا) الفجائية، نحو قولنا: (خرجت فإذا الأسد).
 - 4- أو في اسم الزمان الحاضر، نحو (الآن) والساعة وما في معناهما.
- وما عدا ذلك لا تكون فيه للحضور إلّا أن يقوم دليل على ذلك. (ابن هشام، 2000: 317/1، السيوطي، د، ت: 310/1).

ويرفض ابن هشام حصر العهد الحضورى بهذه الأشكال السياقية حسب، ويرى أنّ المقام وحده هو الذي يحدد عهد الحضور؛ يقول: "لأنك تقول لشاتم رجل بحضرتك: (لا تشتم الرجل) فهذا للحضور في غير ما دُكر". (ابن هشام، 2000: 317/1، السيوطي، د، ت: 310/1)؛ فالشرط عنده أن يكون المعرّف حاضراً حال التكلّم، بغضّ النظر عن محل وقوعه في الكلام؛ ف (أل) في كلمة الباب في جملة: (افتح الباب) هي للحضور؛ ويقصد به الباب الحاضر الموجود.

وللاعتبار ذاته يتحقّق على اعتبار ما بعد (إذا) من العهد الحضورى فيقول: "لأنّ التي بعد (إذا) ليست لتعريف شيء حاضر حال التكلّم، فلا تُشبهُ بالكلام فيه". (ابن هشام، 2000: 317/1، السيوطي، د، ت: 310/1).

كما أنّه يتحقّق على اعتبار (أل) في كلمة (الآن) من العهد الحضورى؛ يقول: "لأنّ الصحيح في

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

الداخلة على (الآن) أنها زائدة؛ لأنها لازمة، ولا يعرف أن التي للتعريف وردت لازمة، بخلاف الزائدة". (ابن هشام، 2000: 317/1، السيوطي، د، ت: 310/1).

- ثانياً- الفرق بين (أل) العهد الحضوري و(أل) العهد الذهني:

والفرق بين (أل) العهد الحضوري و(أل) العهد الذهني أنّ مدخول العهد الحضوري يكون معلوماً حاضراً، أما إن كان غير حاضر فهي (أل) العهد الذهني. (القزويني، د، ت: 21/2). ومن أمثلة العهد الحضوري، قول أبي الأسود الدؤلي:

يا أيُّها الرجلُ المُعلِّمُ غَيْرُهُ هَلْ لِنَفْسِكَ كانَ ذا التعلِيمِ

اختلف في قائل هذا البيت فهو منسوب إلى أبي الأسود الدؤلي في ديوانه ص(404)، ومنسوب أيضاً إلى المتوكل الليثي في ديوانه، (283)، ينظر: ديوان أبي الأسود الدؤلي؛ صنع: أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، ط2، (1998م، 1418هـ)، وشعر المتوكل الليثي، جمعه د. يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد(1971م).

ف (أل) التعريف في(الرجل- التعليم) تعريف عهدي حضوري... فالإشارة تدل على الحضور دون الجنس؛ فلما دخلت (أل) على اسم بعده كانت أكثر تعريفاً منه؛ إذ دلّت على التعريف الحضوري وصار إعرابه عطف بيان أولى من إعرابه (بدلاً)، وإن جاز الاثنان.(جمعة، 2001: 138).

- ثالثاً- الفرق بين (أل) العهد الذهني و(أل) العهد الحضوري:

وأما الفرق بين (أل) العهد الذهني و(أل) العهد الحضوري فهما قد يتداخلان فما كان حاضراً فهو مرتبط بالذهن، فمثلاً إذا قال قائل: أغلق الباب، فالباب هنا حاضر وفي الوقت ذاته ذهني؛ لأنه مرتبط بالذهن الباب الموجود.

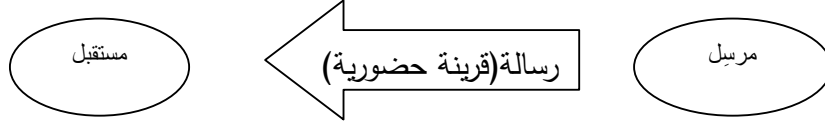
- رابعاً- آلية تبلور الدلالة عبر (أل) العهد الحضوري:

ويمكننا أن نوضّح آلية تبلور الدلالة عبر (أل) العهد الحضوري من خلال التصرّو التالي:
فعلى النسق ذاته الذي تقوم عليه (أل) العهد الذكري و(أل) العهد الذهني تقوم (أل) العهد الحضوري، إلا أن الاختلاف يكمن في حضور الشيء المقصود أو المراد، كطلب المدرّس من

الإحالة ب (أل) العهدية، ودورها في...

الطالب في الصف أن يغلق الباب؛ أي الباب الحاضر، والإحالة تكون خارجية كذلك، والسياق التداولي هو الذي يشرح الدلالة، وهذا الشكل يوضح العملية السابقة:

مرسل (المتكلم) _____ رسالة (النص) _____ مستقبل الرسالة (المخاطب)
(الرسالة تحتوي على قرينة وهي معرفة حضورية الشيء)



فالخطاب هو مقطع كلامي يحمل معلومات يريد المرسل (المتكلم أو الكاتب) أن ينقلها إلى المرسل إليه (أو السامع أو القارئ)، ويكتب الأول رسالة ويفهمها الآخر بناءً على نظام لغوي مشترك بينهما. (يعقوب، 1987: مادة خطب).

ونبّه البلاغيون على أن المتكلم البليغ قد يختار في كلامه الاسم المعرف بأل دون المعارف الأخرى التي تصلح بدائل له، للدلالة على معنى يقصده من المعاني التي يمكن أن تستفاد من أداة التعريف هذه، مع قصد الإيجاز في التعبير. (حبيكة، 1996: 436/1).

المبحث الثالث: الإحالة ب (أل) العهدية

■ الإحالة لغة:

مصدر الفعل (أحال)، وتحوّل عن الشيء زال عنه إلى غيره، حال الرجل يحول مثل تحوّل من موضع إلى موضع، حال إلى مكان آخر أي تحوّل، وحال الشيء نفسه يحول حوّلًا بمعنيين يكون تغيّرًا ويكون تحوّلًا، والمعنى العام لهذا الفعل هو التغير ونقل الشيء إلى شيء آخر. (ابن منظور، 1956، مادة حول، 184/11)، و"التغير والتحوّل، ونقل الشيء إلى شيء غيره" ليس بعيدًا عن الاستخدام الدلالي للإحالة النصية.

■ الإحالة اصطلاحاً:

هي وجود عناصر لغوية لا تكفي بذاتها من حيث التأويل، وإتّما تحيل إلى عنصر آخر؛ لذا تسمّى

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

عناصر محيلة مثل: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة...". (خطابي، 1991: 16-19). وقد عرّفها جون ليونز (John Lyons) بأنها: العلاقة بين الأسماء والمسميات. (عفيفي، 2004: 116). وطبيعة هذه العلاقة دلالية تقتضي التطابق بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه من حيث الخصائص الدلالية. (خطابي، 1991: 17)، فهي من أهم أدوات الاتساق النصي. والإحالة علاقة معنوية بين ألفاظ معينة، وما تشير إليه من أشياء أو معانٍ أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى في السياق، أو يدل عليها المقام، وتلك الألفاظ المحيلة تعطي معناها عن طريق قصد المتكلم، مثل: الضمائر، واسم الإشارة.

فالإحالة تنشأ بسبب تحرك الفكر في اتجاهين متوالين؛ أولهما نبش مخزونه المعرفي من أوصاف الأشياء وعلاقتها بغيرها، وثانيهما البحث في مخزونه النصي. (أنيس، 2008: 45). وقد ربط (هاليداي) (Halliday) وزميلته رقية حسن بين مفهوم الإحالة وبين مفهوم التعريف؛ بحيث يكون التعريف هو ما يميز الإحالة وذلك في قولهما: "يُعبّر عن هذا أحياناً بعبارة أنّ كل وحدات الإحالة تشتمل على أداة تعريف؛ نظراً لأنّ أداة التعريف هي العنصر الذي يحمّل في الإنجليزية معنى الهوية الخاصة أو التعيين في شكله المحض". (M. A. K. Halliday and Ruqaiya Hasan، 1976: p32).

▪ أنواع الإحالة:

وتنقسم الإحالة إلى نوعين هما:

1- إحالة خارجية حين يكون الشيء المحال عليه خارج النص في السياق أو المقام، ويرى (هاليداي) ورقية حسن (Halliday and Ruqaiya Hasan) أنّ هذا الضرب لا يؤدي دوراً في ترابط النص (Halliday and Ruqaiya Hasan، 1976: p33)، ونحن نخالفهما في ذلك؛ فأبي عنصر يؤدي إلى فهم النص يؤدي دوراً في ترابط النص.

2- إحالة داخلية: وذلك حين يكون المحال عليه داخل النص، وتؤدي دوراً مهماً في تماسك أجزاء النص، (Halliday and Ruqaiya Hasan، 1976: 6p) وهي بدورها تنقسم قسمين

الإحالة ب (أل) العهدية، ودورها في...

هما:

- أ- إحالة قبلية تُحال إلى سابق داخل النص.
والإحالة في هذه الحالة تقتضي العودة إلى الوراء، لتحديد مرجع الإحالة حيث دُكر المُحال إليه، وهذا نوعٌ من الربط القبلي بين أجزاء النص.
- ب- إحالة بعدية تُحال إلى لاحق داخل النص.
أما هذه الإحالة البعدية فهي إحالة على لاحق لم يُذكر بعد، فهي مثيرة لذهن المتلقي حيث يوجد لفظ كنائي ولم يسبق مرجعه، والمفترض أن يظل المتلقي يقظاً باحثاً عن مرجع الإحالة. (M. A. K. Halliday and Ruqaiya Hasan, 1976:42p).

فالإحالة تتم عبر أدوات نعتمد في فهمنا لها، لا على معناها الخاص، بل على إسنادها إلى شيء آخر، وهذه الأدوات تجبر القارئ في البحث في مكان آخر عن معناها.
وهذه الإحالة أقل من سابقتها استخداماً وشيوعاً، ويتأمل هذا النوع من الإحالة يُظهِر أنها سلاح ذو حدين فهي إما تجعل المتلقي متحفظاً متشوقاً إلى مرجع هذا اللفظ الكنائي ومفسره، فيظل دائماً في يقظة لصنع هذا الربط، وإما أن تقلل من دقة متابعته فيظل المعنى مشوشاً حتى يجد المرجع، فإذا وجد المرجع، فقد يحتاج إلى قراءة النص مرة أخرى للبحث عن ترابط واتساق بين أجزاء النص، وربما صَعَبَ عليه ذلك إذا كان مستمعاً لحوار ربما يكون قد انتهى، وهذا يجعل أمر الإحالة البعدية عسيراً أحياناً وربما كان سبباً في قلة استخدامها. (M. A. K. Halliday and Ruqaiya Hasan, 1976:42-43p).

أما تَمَام حسان فأطلق مصطلح (الربط) على الإحالة وعَدَّ وسائل الإحالة بإعادة تكرار اللفظ فهو الأصل فيها، ثم إعادة المعنى لقربها من الأولى، ثم بقية الوسائل وهي عود الضمير، واسم الإشارة والموصول، و(أل) المعرفة، والوصف. (حسان، 2009: 213).

ولتظهر الإحالة بأل التعريف واضحة جلية ينبغي أن يوجد في تحليل (أل) العهدية أمران مهمّان:
1- القيد: وهو ظاهر وبيّن في الكلمة وهي (أل) العهدية، وهو الذي يوضح لنا أن الكلمة معرّفة

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

ب (أل) التعريف هذا القيد الذي قيدها؛ لنستنتج من خلال النص القرينة.

2-القرينة: وهي ما يستعين به المخاطب على الربط بين (الدال) الذي هو اللفظ المُعرَّف تعريفَ عهدٍ، و(المدلول) الذي هو الشيء المُعَيَّن المعهود المراد بذلك اللفظ، ولولا هذه القرينة ما كان اللفظ وحده كافياً في تعيين المراد، وهذه القرينة جزء مهم من عملية الإحالة العهدية؛ فهي تقوم بوظيفتين أساسيتين لهذه العملية: الأولى إنشاء العهد لدى المتلقي، والأخرى الربط بين المحيل والمحال إليه. (أنيس، 2008: 164). فالقيد ظاهر وبارز، أما القرينة فهي الحضور، أو سبق الذكر، أو سبق العلم بوسيلة أخرى.

■ عناصر الإحالة:

أما عناصر الإحالة فهي:

- 1-المتكلم أو الكاتب صانع النص، ويقصده المعنوي تتم الإحالة إلى ما أراد، حيث يشير علماء النص إلى أن الإحالة عمل إنساني.
- 2-اللفظ المحيل، وهو العنصر الإحالي ذاته، وينبغي أن يتجسد إما ظاهراً أو مقدراً، كالضمير أو الإشارة، وهو الذي سيحوّلنا ويغيرنا من اتجاه إلى اتجاه خارج النص أو داخله.
- 3-المُحال إليه، وهو موجود؛ إما خارج النص أو داخله من كلمات، أو عبارات، أو دلالات، وتفيد معرفة الإنسان بالنص وفهمه في الوصول إلى المُحال إليه.
- 4-العلاقة بين اللفظ المُحيل والمُحال إليه، والمفروض أن يكون التطابق مجسداً بين اللفظ المُحيل والمُحال إليه. (أنيس، 2008: 160-164).

فالمتكلم يتحدّث بكلام يشتمل على قرينة معهودة بينه وبين المتلقي (اللفظ المُحيل) وهو الكلمة المعرّفة ب (أل) العهدية، والمتلقي يعود مباشرة إلى الصورة الذهنية المثبتة في عقله ويرجع لها كلما سمع لفظاً محيلاً إلى مقابلها، وهذه الصورة تكون هي المُحال إليه. (أنيس، 2008: 160-164).
وأما شكل الإحالة إلى العهد الذكري فهي إحالة داخلية (داخل النص) بنوعها القَبليّة أو البعدية، في حين أنّ الإحالة في العهد الذهني تكون خارجية؛ أي خارج النص. والعهد الحضور

الإحالة ب (أل) العهديّة، ودورها في...

يكون نوع الإحالة مقامية؛ أي في المقام والمكان ذاته. (أنيس، 2008: 160-164) أما نجاح عمليّة الإحالة فهو قائم عند براون (Brown) ويول (Yule) على قدرة المستمع على التعرف على المسمى الذي قصده المتكلم باستعمال العبارة المحيلة، وذلك لفهم الرسالة اللغوية الموجهة إليه. (براون، يول، 1997: 246).

فإذا أردنا أن نمثّل بمثال في الآية القرآنية يقول تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾. (التوبة/40)؛ فإننا نعرّف مدلول الغار بناءً على معرفتنا السابقة بقصّة الهجرة، وأنّ الغار الذي مكث فيه الرسول (صلى الله عليه وسلّم) وصاحبه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في الهجرة هو (غار حراء)، وهذه المعرفة السابقة تمثّل عهداً ذهنياً ننكّي عليه في معرفة المُحال إليه ب (الغار). وهذا يعتمد على فكرة الإحالة العهديّة؛ فنحن أحلنا كلمة (الغار) إلى معرفة ذهنيّة سابقة، وبهذا استطعنا معرفة الكلمة المقصودة من خلال أحداث القصة الثابتة ذهنياً.

ولنمثّل بالإحالة ب (أل) العهد الذهني ودورها في تماسك وترابط النص، ومثال ذلك أنّ اثنين يدرسان في الجامعة ذاتها، فيقول أحدهما للآخر: (لن أذهب للجامعة غداً)؛ فيفهم المخاطب أنّ المتكلم يقصد بالجامعة المعهودة بينهما بحكم اشتراكهما بالدراسة فيها؛ فعامل الإحالة عامل خارجي يعود إلى المعرفة المتبادلة بينه وبين مخاطبه، وتفاعلاتهم السابقة، والمقام الحالي الذي وقع فيه التخاطب.

وقد صاغ براون (Brown) ويول (Yule) مبدأً مشابهاً أسمياه ب (مبدأ الحمل المحلي) (Principle of local interpretation) الذي يحكم المتكلم بآلاً "يصوغ سياقاً أكبر ممّا يحتاج إليه للوصول إلى معنى ما. (Gillian Brown and George Yule.1983:p59) وبمقتضى هذا المبدأ، فإننا نحمل أسماء العملات، ونحوها، على العملة المستخدمة في البلد الذي نحن فيه، فالدرهم والدينار والريال مثلاً تستخدم في عدد من الدول العربية، ولكن تحديد المقصود بكل من هذه العملات محكوم بالمكان الذي تستخدم فيه. (الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه، لمحمد محمد يونس علي، http://takhatub.blogspot.com/2009/06/blog-post_4712.html).

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

وبطبيعة الحال؛ فإنّ هناك مقامات يضطرّ فيها المخاطب إلى توسيع السياق بحيث يشمل أشياء ليس لها صلة مباشرة بالمتخاطبين؛ ولذا فإنّ كلمة (الشمس) أينما قيلت هذه الكلمة فهي تحيل جميعها إلى ذلك النجم الذي يضيء الأرض، ويدقّها. وما يحكم هذه الإحالة هو الاعتقاد بوجود (شمس) واحدة فقط. (مقال عبر الإنترنت بعنوان: الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه) فالإحالة إلى العهد الذهني تعدّ إحالة خارجية.

أما الإحالة ب (أل) العهد الذكري فنتملّ بها بالعبارة التالية: (حصل طالب متفوق على المرتبة الأولى على مدرسته، وقد أتى الطالب على المدرسة إدارة ومُدّرّسين). فتشير كلمة (الطالب) المُعرّفة ب (أل) إلى كلمة (طالب) التي سبق ذكرها نكرة، فحدث الربط بين الكلمتين، وكذلك الجملتين، بسبب أحادية المرجع الذي تشيران إليه، وهو "طالب". ومن الواضح أنّ (أل) التي للعهد الذكري هي أنسب أنواع (أل) وسيلةً لتماسك النص؛ لأنّ إحالتها إحالة داخلية، وهو ما يجعلها قادرة على ربط جملتين ببعضهما. (الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه، لمحمد محمد يونس علي، (-blog/2009/06/http://takhatub.blogspot.com/post_4712.html).

وأما الإحالة للعهد الحضورّي؛ فتكون في المكان ذاته، أي حاضراً مثل قول المدرس للطالب: (أغلق الباب)، أي الباب الحاضر، فكان الحضور عاملاً مهماً في الإحالة ممّا أدى إلى وصول الرسالة واضحة، وأسهمت في ترابط النص وتماسكه.

ولا ريب أنّ السياق بكلّ تفاصيله ومكوّناته يعدّ الميدان الأوسع لقراءة مفهوم (أل) العهدية ونوعها ودلالاتها؛ فالسياق في المعاجم الحديثة يعرف بأنه بيئة الكلام ومحيطه وقرائنه (البعليكي، 1990: 119). فيما يعرفه آخرون بأنه علاقة البناء الكلّي للنصّ بأيّ جزء من أجزائه. (الخولي، 1992: 57). وتشير هذه المعاجم إلى تضافر سياقات عديدة في النصّ تساهم في صياغة الرسالة اللغويّة، وهي: السياقات النحويّة، والبلاغيّة، والصوتيّة. وانطلاقاً منها يتداخل العديد من الاعتبارات النفسيّة، والاجتماعيّة (فتحي، 1986: مادة سياق، ووهبة، مجدي، 1974: 8). وتقوم (أل) العهد

الإحالة ب (أل) العهدية، ودورها في...

بهذه المهمة؛ فهي تقوم بعمل نحوي، دلالي، وكذلك بلاغي، بالإضافة إلى النفسي من حيث الحضور.

ولابد أن نذكر جهد تمام حسان في عملية الربط بالسياق حيث قسم القرائن أقساماً ثلاثة على النحو التالي:

(1) القرائن المادية المحسوسة والمشخصة ومن أمثلتها (بعر الأرام) الذي يدل على أن الأطلال كانت مأوى أنواع كثيرة من الحيوانات، ومخلفات المجرم في مكان الجريمة.

(2) القرائن العقلية، وتقسم قسمين هما:

أ) عهدية ذهنية مفادها أن المتكلم يعرف مسبقاً أن ثمة فكرة مترسخة في ذهن المخاطب حول مسألة مألوفة، ولهذا عوض أن يبرر المتكلم في كلماته مثلاً: أنا ذاهب إلى الكلية لأدرس، يستغني عن لفظه (لأدرس) علماً منه أن العرف اصطلاح على أن الذهاب إلى الجامعة يكون بالضرورة من أجل الدراسة والتحصيل، فيعرف المقصود من الكلية بالعهد الذهني.

ب) منطقية كقضايا القياس المنطقي والاستدلال والبرهان.

(3) قرائن التعليق: وهي التي تنقسم إلى قرائن مقالية وحالية تعرف من المقام، وتنقسم المقالية إلى قسمين: معنوية وتشمل قرينة الإسناد والتخصيص والنسبة والتبعية والمخالفة، ولفظية وتندرج تحتها قرينة الإعراب والرتبة والصيغة والمطابقة والربط والتضام والأداة والتتغيم. (حسان، 2004: 190).

ويبرز دور (أل) العهدية في السياق القرآني من خلال الربط بين الفقرات والجمل، فالكلمة المعهودة تؤدي دوراً مهماً في فهم سياق الآية ومرادها وذلك عبر دراسة النص القرآني وفهم سياقه، فجاءت (أل) العهد.

المبحث الرابع- دور الإحالة ب (أل) العهدية في التماسك النصي

وفي هذا المبحث سنتحدث عن دور الإحالة ب (أل) العهدية من خلال أقسامها الثلاثة (العهد الذكري، والعهد الذهني، والعهد الحضورى):

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

■ أولاً- دور الإحالة ب (أل) العهد الذكري في التماسك النصي:

وقد مثلنا بالتماذج الآتية من الآيات القرآنية:

1.(الشهر)

وذلك في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: 185).

جاءت (أل)التعريف في (الشهر) للعهد الذكري (الألوسي، 2005: 458/1، أبوحيان، 1420: 197/2)؛ لذا صحَّ أن ينوب عنه الضمير. ولو جاء: فمن شهد منكم فليصمه لكان صحيحاً، وإنما أبرزه ظاهراً للتبويه به والتعظيم له، وحسن له أيضاً كونه من جملة ثانية (أبو حيان، 1420هـ: 197/2). فجاءت (الشهر) معرفة ب (أل) العهد مناسبة للسياق العام للآيات، كي يعرف أنَّ الشهر المقصود منه هو الشهر السابق الذكر، فالمعهود بالشهر هو شهر رمضان السابق الذكر، ولو نكره لما فهم، إلا أن (أل) العهد عرّفته أنَّ الشهر السابق الذكر.

فالخطاب موجّه لعموم المسلمين، يحمل تقرير فريضة صيام شهر عظيم، تحدّث باسمه في بداية الآية (شهر رمضان) ثمّ عقّبه بالشهر؛ كي يتأكّد فرضيته وتزيد هيبة صومه في قلوب المسلمين، و(أل) أيضاً أعطت إشارة أخرى وهي وجوب صيام الشهر كاملاً. وجاء الضمير في: (فليصمه) محالاً إلى (الشهر)، واستخدم الفعل (شهد) لدلالة الحضور والإقامة، يقول الزمخشري: "فمن كان منكم مقيماً حاضراً في شهر رمضان فليصم فيه". (الزمخشري، د، ت: 404/2).

وتتكون عناصر الإحالة على النحو التالي:

عنصر إحالة (الشهر) ← محال إليه (عنصر داخلي سابق الذكر(شهر رمضان)).

الإحالة ب (أل) العهديّة، ودورها في...

2. (القرى):

وذلك في:

أ. قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. (هود/102).

ب. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾. (هود/117).

فالآيتان السابقتان محالتان إلى آية في السورة نفسها وهي: قوله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) (هود/100)

جاء في تفسير (القرى)؛ أي القرى السابقة والمراد ب (القائم) ما كان من القرى التي قصّها الله في القرآن قرى قائم بعضها كآثار بلد فرعون كالأهرام؛ وليس المراد القرى المذكورة في هذه السورة خاصة والمقصود من هذه الجملة الاعتبار. (ابن عاشور، 1984: 158/12) وعلى هذا تكون إحالة (القرى)، في الآية الأولى خارج السورة؛ أي في الخطاب القرآني، الذي ورد فيه الحديث عن القرى.

أما ابن عطية؛ فهو يرى أنه من المحتمل أن المراد بها "القرى" التي ذُكرت في الآيات المتقدمة خاصة (ابن عطية، 1993: 206/3)؛ وعلى هذا تكون الإحالة داخلية في السورة، أي القرى التي سبق ذكرها.

ويعقب صاحب الظلال على الآيتين بقوله: "يقول تعالى": ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ. إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. (هود:103)، ومصارع القوم معروضة، ومشاهدهم تزحم النفس والخيال منهم الغارقون في لجة الطوفان الغامر، ومنهم المأخوذون بالعاصفة المدمرة، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفت به وبداره الأرض، ومنهم من يقم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار. وما حلّ بهم من قبل في الدنيا يخاليل للأنظار في هذا الموضع، وقد بلغ السياق من القلوب والمشاعر أعماقها بتلك المصارع والمشاهد... هنا يأتي هذا التعقيب: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾. (قطب، 1412هـ: 1927/4)

وتكون الإحالة على النحو التالي:

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

إذا كان (المحال إليه) هو (القرى) الأمم السابقة الهالكة فتكون الإحالة (خارجية) أي خارج السورة، وتكون (أل) والمحال (القرى) في السورة السابقة. أما إن كان (المحال إليه) (القرى) السابقة الذكر في السورة (إحالة داخلية) تكون (أل) (للذكر) والمحال (القرى) في الآيتين تكون للذكر.

3. (اليهود والنصارى):

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. (البقرة/113).

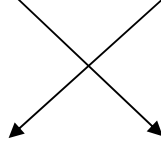
هذه الآية واردة في سياق كشف ضلال الفريقين والطعن في ملتهم، حيث بين اختلافهم وتناقضهم وتباغضهم. (ابن كثير، 1999: 386/1)، واتهام كل طائفة للأخرى بأنهم ليسوا على شيء من أمر الله (الطبري، 2000: 514/1). مع أنهم يتلون كتاب الله، وكتب الله يصدق بعضها بعضاً.

فالآية نزلت في يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران، وذلك أنّ وفد نجران لما قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت اليهود: ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعباسي والإنجيل، وقالت لهم النصارى ما أنتم على شيء. (الواحدي، 1992: 36/2).

فالآية القرآنية تتحدث عن واقعة حدثت في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث جاء وفدان واحد من اليهود والآخر من النصارى، فصار كل فريق منهم يكذب الآخر وينفي كونه على شيء ثم ذاك الفريق يردّ عليه بمثله؛ فالنصارى الثانية هي (أل) عهد، والمراد بهم الذين نفى اليهود عنهم، وكذلك كلمة اليهود الثانية مقرونة بـ (أل) العهد، والمراد منهم يهود المدينة ونصارى نجران. (السيوطي، 2003: 575/1) فإعجاز الخطاب يظهر جلياً في استخدام الكلمتين ذاتهما بحوار، والرد عليه؛ فأشار لقول اليهود وكذلك النصارى، وكأنه يود أن يسرد لنا قول كل فريق على حدة.

الإحالة ب (أل) العهديّة، ودورها في...

وقالت اليهود ليست النصارى على شيء



وقالت النصارى ليست اليهود على شيء

وكان بينهما علاقة تضاد، في هذا النص.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مَلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ ابْتِغَاءَ هَوَاءِهِمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. (البقرة/120) والإحالة موجودة في الآية ذاتها وهي اليهود والنصارى السابق ذكرهما، وهي مستمرة في سياق أسئلة يهود المدينة ونصارى نجران للنبي (صلى الله عليه وسلم). (الواحدي، 1992: 36).

وتتكون عناصر الإحالة على النحو التالي:

عنصر إحالة (اليهود) ← مُحال إليه (عنصر داخلي سابق الذكر + عنصر خارجي سبب النزول).

عنصر إحالة (النصارى) ← مُحال إليه (عنصر داخلي سابق الذكر + عنصر خارجي سبب النزول).

▪ ثانياً دور الإحالة بأل العهد الذهني في التماسك النصي:

1. التابوت:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. (البقرة: 248).

جاءت الآية القرآنية في سياق الحديث عن مُلكِ داود -عليه السلام- في بني إسرائيل ومحاوره الله لهم بإرساله داود -عليه السلام- ملكاً، وعلامة ملكه هو التابوت. وهذا التابوت كما توارد في كتب التفسير أنزله الله -عزّ وجل- على آدم فيه صورة الأنبياء -عليهم السلام-، وكان له صفات معيّنة وردت في كتب التفسير؛ فكان التابوت معلوماً في ذهن لديهم، ومن خلال الخطاب يتضح

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

أنّ التابوت معلومٌ للمخاطبين، لذا جاء لم يسبق بقوله - تعالى - التابوت أي صفة أو حديث عنه دلالة على معرفة بني إسرائيل به، فأل في التابوت للعهد فهو معروف لهم معهود عندهم. (أبو بكر الجزائري، 1:236/2003) علماً أنه أصبح يطلق عليه تابوت العهد، جاء في بيان المعاني: وأل فيه للعهد لأنه كان معروفاً عند أسلافهم وعندهم بالاستقراء من أنبيائهم. (الديرزوري، 1382هـ: 213/5) فهو تابوت معهود بين المخاطب وهو الله - عز وجل - وبين المخاطبين وهم بنو إسرائيل، فالتابوت إذا ذكر عند بني إسرائيل عُرف أنه تابوت العهد، الذي ورد في كتبهم.

ثم اشتملت الآية القرآنية على ضمائر تعود على البؤرة المركزية في النص (التابوت) وهي (فيه)؛ (تحمله)؛ فالضمائر تعود على التابوت الذي فيه سكينته، وهذا يكسب التابوت دلالة وأهمية مركزية، بالإضافة إلى أن حمل الملائكة للتابوت لما له من أهمية ومكانة عند الله - عز وجل - وكيف لا يكون معهوداً معروفاً عندهم، وهو (آية ملكه)؛ وقد قيده بالوصف بعده (فيه سكينته من ربحكم) وفيه كذلك (بقية مما ترك آل موسى وآل هارون).

ومما يدل على أنه معهود كذلك أنّ الله جعل فاصلة الآية جملة مؤكدة بمؤكّدين هما (إنّ) ولام الابتداء (إنّ في ذلك لآية) مؤكّداً أنّ التابوت آية وكيف يكون آية إلا إذا كان معروفاً؛ ثم جعله جزءاً من إثبات إيمانهم، فجعل التابوت جزءاً من اختبار إيمانهم (إن كنتم مؤمنين).

إنّ السياق اللغوي الذي أحاط بالمعهود (التابوت) يمثّل جزءاً من المعرفة الحاضرة في قراءة النص، إضافة لما تختزنه ذاكرته من بيانات وهي تمثّل "المعرفة الخلفية" في عُرف براون. (Brown) ويول (Yule). (براون، يول، 1997: 256).

وهي ضرب من الاستدلال المنطقي باعتباره افتراضاً تجسيريّاً نحو فهم النص، وهذا يتصل بدوره بفكرة الخطأ التي جاء بها بارتليت الذي يؤمن بأن قدرتنا على تذكر الخطاب ليست مبنية على إعادة إنتاج الخطاب بطريقة قويمه، وإنما على تشييده من أجل بناء تمثيل ذهني، "إنّ الخطاطات تزوّد محلل الخطاب بطريقة لتفسير الخطاب وتأويله، وهي بذلك وسيلة لتمثيل المعرفة الخلفية التي نستعملها في تلقّي الخطاب وتأويله". (براون، يول، 1997: 256).

الإحالة ب (أل) العهدية، ودورها في...

2. الفلك:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾. (هود: 37).

وردت (أل) العهدية في هذه الآية في قوله: (الفلك) وهي تشير إلى معرفة سابقة من نوح بهذه السفينة ف (أل) العهدية تشير إلى هذه المعرفة، فقد كان طُلبَ إلى نوح أن يبني سفينة يحمل فيها المؤمنين من كل زوجين. واقتران (أل) العهدية بالفلك في موضع أمر تُعَيِّن على المخاطب أن يكون عالماً بالتفاصيل ليُحَسِّن تنفيذ الأمر.

ثم قيّد هذا الأمر بال العناية الإلهية والمتابعة الإلهية التي ستحيط بتنفيذ هذا الأمر؛ فالفلك سُنْصَع على نحو معلوم للمخاطب؛ ولكن بعناية إلهية فائقة (بأعيننا ووحينا)، وكلمة (وحي) في هذا السياق تشير إلى الأمر، وتشير إلى التفاصيل التي رُوِّد بها نوح -عليه السلام- للوصول إلى التنفيذ الأمثل للأمر الذي سينفذ البشرية بعد ذلك من الانقراض، حيث سيحمل معه من كل زوجين اثنين، فلا بد أن يكون هذا الفلك على نحو مخصوص يوائم هذه الغاية.

ف (أل) العهدية تعطي الانطباع بصورة حاضرة لسفينة معلومة على نحو معلوم من الصناعة موافقة لغرض معلوم للمتلقي وهو نوح -عليه السلام-.

يقول الألوسي: "قال في قوله تعالى: (الفلك) هي للعهد بناءً على أنه أوحى إليه عليه السلام أن الله سبحانه وتعالى سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه بأمره تعالى ووحيه، من شأنه كيت وكيت واسمه كذا". (الألوسي، 2005: 248/6).

ويرى ابن عاشور أنّ جملة (واصنع الفلك) عطف على جملة (فلا تبئتس)، وهي بذلك داخلية في المؤحي به فتدل على أن الله أوحى إليه كيفية صنع الفلك كما دل عليه قوله: (ووحينا). (ابن عاشور، 1984: 66/10).

ويضيف أيضاً: "والباء في (بأعيننا) للملابسة وهي في موضع الحال من ضمير (اصنع)". (ابن عاشور، 1984: 66/10).

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

وأما بقية الآية فتشير إلى انتباه نوح إلى الذين ظلموا وخطابه الله - عز وجل - أن يرفع عقابهم لكن الله - عز وجل - يرد: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾. (هود: 37).

يقول ابن عاشور: ودلّ النهي في قوله: (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) على أن كفار قومه سينزل بهم عقاب عظيم لأنّ المراد بالمخاطبة المنهي عنها المخاطبة التي ترفع عقابهم فتكون لنفهم كالشفاعة... ولعل هذا توطئة لنهيه عن مخاطبته في شأن ابنه الكافر قبل أن يخطر ببال نوح عليه السلام سؤال نجاته حتى يكون الرد عليه حين السؤال ألطف. (ابن عاشور، 1984: 67/10).

يقول الشوكاني: إن جملة (إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ) للتعليل أي لا تطلب منّا إمهالهم، فإنه محكوم منّا عليهم بالغرق، وقد مضى به القضاء فلا سبيل إلى دفعه ولا تأخيره. (الشوكاني، د، ت 497/2)

ويذكر ابن عاشور عن توكيد جملة (إنهم معرّفون) بـ (إن) فيقول: وتأكيد الخبر بحرف التوكيد في هذه الآية مثال لتخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بتنزيل غير السائل المتردد منزلة السائل إذا قدّم إليه من الكلام ما يلوح إلى جنس الخبر فيستشرفه لتعيينه استشرافاً يشبه استشراف السائل عن عين الخبر. (ابن عاشور، 1984: 67/10)

وبذا تكون (أل) العهدية قد أحالت إلى منظومة متكاملة متصلة من المعلومات متفق عليها بين طرفي الخطاب: الوحي وبيانه وعلمه، والمخاطب وما أوحى إليه، والهدف تمام الاستجابة على نحو معلوم من المتلقي وعلى بصيرة منه لتفاصيل الأمر.

ولا ريب أنّ فهم هذه الآية فيما يتصل بالمتلقي المتجدد القارئ لكتاب الله - عز وجل - في كل زمان ومكان مرتبط بعدد كبير آخر من الآيات في النص القرآني، كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾. (الأعراف/64)، وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَانجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾. (يونس/73).

وكذلك هي متصلة بموروث ثقافي واطلاع على قصة سيدنا نوح - عليه السلام - بتفاصيلها. وهي إحالة ذهنية خارجية يقرؤها المتلقي في المقام الخارجي للخطاب، وجاء الفاعل في الآية مستتراً، فيما جاء المفعول به وهو المعنى بالعهد الذهني هنا ظاهراً (الفلك) وهو مناط الأهمية، ولعلّ

الإحالة ب (أل) العهديّة، ودورها في...

هذه الآية وما يتصل بها من عهد ذهني تحيلنا إلى مقولات براون (Brown) ويول (Yule) من أنّ القارئ حين يواجه خطاباً ما لا يواجهه وهو خالي الذهن؛ فالمعروف أنّ معالجته للنص المعايين تعتمد -ضمن ما تعتمد- على ما تراكم لديه من معارف سابقة تجمعت لديه كقارئ متمرس؛ فمثلاً لو واجه قارئ نصاً جاهلياً منسوباً إلى شاعر جاهلي؛ فالمفترض أنّ لديه اطلاعاً سابقاً على مجموعة من النصوص الشعرية عموماً وعلى نصوص جاهلية خصوصاً؛ فالمعرفة الخلفية معرفة منظمة بطريقة مضبوطة. ويذهب باحثون إلى أنّ تمثيلات المعرفة هذه تنسم بأنها منظمة بطريقة ثابتة كوحدة تامّة من المعرفة الجاهزة في الذاكرة إلى درجة أنّ (راببيك) يعتبر الفهم عملية ذاكريّة، ومن ثم فإنّ فهم الخطاب يعدّ بالأساس عملية سحب للمعلومات من الذاكرة وربطها مع الخطاب المواجه، وحاول علماء النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي توصيف النظام الذي يقوم على إنتاج بيانات معرفية متخصصة للتكيّف مع خطاب يتطلّب نوعاً خاصاً من المعرفة، فكل ذلك جاء ضمن محاولة براون (Brow) ويول (Yule) الإجابة عن سؤال كيفية فهم الخطاب وتأويله عند المتلقي (براون، يول، 1997: 236-238).

3. الكتاب:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾. (البقرة: 2).

ووردت على نوعين هما الذهن، والجنس على النحو التالي:

1- كونها للعهد الذهني فقد فسّر ابن عاشور هذه الإشارة بقوله: وعلى الأظهر تكون الإشارة إلى القرآن المعروف لديهم يومئذ، واسم الإشارة مبتدأ والكتاب بدل وخبره ما بعده. (ابن عاشور، 1984: 219/1). إنّ استخلاص ابن عاشور لما يشير إليه (ذلك) معتمد على قرينتين: نحوية، وهي اعتبار الكتاب بدلا من اسم الإشارة، و(الكتاب اسم من أسماء القرآن). وتداوليّة تجسدها إشارته إلى أن المشار إليه معروف لديهم يومئذ إذ المشار إليه حاضر في أذهان المخاطبين، أي معرفتهم للعالم رغم غيابه في الخطاب تصريحاً. (العموش، 2005: 240).

2- كونها أل للجنس على أن يكون (الكتاب) خبراً عن اسم الإشارة ويكون التعريف تعريف الجنس

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

فتفيد الجملة قصر حقيقة الكتاب على القرآن... ومعناه ذلك هو الكتاب الجامع لصفات الكمال في جنس الكتب بناء على أن غيره من الكتب إذا نسبت إليه كانت كالمفقود منها وصفُ الكتاب لعدم استكمالها جميع كمالات الكتب. (ابن عاشور، 1984: 221/1).

وأضاف ابن عاشور أن هذا التعريف قد يعبر عنه النحاة في تعداد معاني (أل) التعريف بمعنى الدلالة على الكمال؛ فليس الوارد حصر الكتاب في أنه (الم) أو في السورة أو نحو ذلك؛ إذ ليس المقام مقام الحصر، وإنما هو مقام التعريف لا غير، ففائدة التعريف والإشارة ظاهرية... (ابن عاشور، 1984: 221/1).

ولكن ربما يسأل سائل كيف يمكن التوفيق بين هذه الآراء الثلاثة؟

والجواب أن معاني (أل) في كلمة (الكتاب) تشتمل عليها كل على حدة وعلى حسب النسق والسياق القرآني ودور المخاطب، فإذا أردنا أن نقول إنها للحضور فهو بالنسبة للمخاطبين على أنه الكتاب الحاضر بين أيديكم وتقرؤونه فهي للحضور، وأما كونها للعهد الذهني فهو الكتاب الموجود ذهنياً بأذهانكم وتعرفونه حق المعرفة، وتتلونه ليل نهار. وأما كونها للجنس؛ فالمراد أنه أفضل كتاب وأكمله وأتمه في جنس الكتب كافة، فهي جنسية بالنسبة للكتب، واعتبر أحمد البديوي أن من أجمل موقعها استخدام (أل) التعريف للاستغراق؛ فهو استخدام جميل يحمل استغراق كافة خصائص الجنس، فكأنه قال ذلك هو الكتاب المستكمل لخصائص جنسه؛ فهو الكتاب الكامل. (بديوي، 2005، 208).

ومن خلال هذا يتضح كيف استطاعت (أل) التعريف في (الكتاب) جمع (أل) الحضور والذهن والجنس في لفظ واحد وهذا من بديع الإعجاز القرآني.

■ ثالثاً- دور الإحالة بـ (أل) العهد الذهني في التماسك النصي:

1. كلمة البيت:

وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً لِلَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾. (هود: 73).

الإحالة ب (أل) العهديّة، ودورها في...

المراد بأل التعريف في (البيت) هو البيت الحاضر بينهم الذي جرى فيه هذا التحوار، وهو بيت إبراهيم عليه السلام. (ابن عاشور، 1984: 122/12)؛ فإحالتها للحضور. وتعريف (البيت) تعريف حضور، وهو البيت الحاضر بينهم الذي جرى فيه هذا التحوار، أي بيت إبراهيم عليه السلام. والمعنى أهل هذا البيت. (ابن عاشور، 1984: 122/12) وهو بيت إبراهيم عليه السلام. فالبؤرة المركزية هو البيت الحاضر الموجود حالياً، والذي حدث فيه النقاش والحوار بشأن البشرى لنبي الله - عز وجل - إبراهيم بولد له. فدلالة السياق أوضحت أن المراد بالبيت هو بيت إبراهيم - عليه السلام - الذي جرى فيه النقاش والحوار.

وورد في إعراب: (أهل البيت) وجهان: النصب على الاختصاص المراد به المدح والتعظيم؛ أي: "أعني". (العكبري، د: 708/2)، والثاني منادى محذوف منه حرف النداء؛ أي يا أهل البيت. (درويش، 1415، 399/4).
فبإحالة الفرق من ناحية إعرابية، من حيث إن النصب على الاختصاص المراد به المدح والتعظيم، ولأن مقام الأنبياء مقام سامٍ بخلاف إعرابها على أنها منادى.

2. كلمتا القرية والباب:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾. (البقرة: 58).
جاءت (أل) في القرية للحضور. (أبو حيان، 1420هـ: 356)؛ أي القرية الحاضرة، وقد جاءت الآية مبدوءة بأمرأ (ادخلوا) وهذا يكسب دلالة على وجوب دخول القرية، بل والتفويض للأمر الإلهي حالياً، ويقوي دلالتها وجود الإشارة للقريب وهي (هذه)، وعلى ذات النسق كلمة الباب، فهي أتت تابعة للقرية، فدلالة حضور القرية يعني دلالة حضور بابها، واستخدام لفظ (كلوا منها) مزيد دلالة على حضورها عندهم.

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

لكن كونها حاضرة لبني إسرائيل لا يعني أنها معلومة لنا، وإن أفاد بعض المفسرين باسمها إلا أن صاحب المنار يقول: "وَنَسَكْتُ عَنْ تَعْيِينِ الْقَرْيَةِ كَمَا سَكَتَ الْقُرْآنُ، فَقَدْ أَمَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِدُخُولِ بِلَادٍ كَثِيرَةٍ. وَكَانُوا يُؤْمَرُونَ بِدُخُولِهَا خَاشِعِينَ لِلَّهِ خَاضِعِينَ لِأَمْرِهِ مُسْتَشْعِرِينَ عَظَمَتَهُ وَجَلَالَهُ وَنِعْمَهُ وَأَفْضَالَهُ، وَهُوَ مَعْنَى السُّجُودِ وَرُوحِهِ الْمُرَادِ هُنَا". (رشيد رضا، 1990: 268/1).

فالله- عز وجل- يأمر بني إسرائيل بدخول القرية الذين هم حاضرون بقرية، ودخول الباب أي باب القرية، فهي حاضرة عندهم وموجودة، فالإحالة خارجية للمقام، وجاءت: (كلوا) عائدة على القرية.

أما في سورة هود فقد وردت في سياق قصة نوح -عليه السلام- مع ابنه، وقوله تعالى: ﴿قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ (هود:43).

جاءت الآية في حوار بين نوح -عليه السلام- وابنه، فابن نوح يخبر أباه أنه سيأوي إلى جبل يعصمه من الماء الذي فاض، ونوح عليه السلام يرد عليه ألا عاصم اليوم؛ أي هذا اليوم الحاضر، من أمر الله إلا من رحم الله. أي: لا شيء في هذا اليوم العصيب يعصم أحداً من أمر الله الذي قضاه، فليس الأمر والشأن أمر ماء يرتفع بكثرة المطر كالمعتاد، فينتقي الحازم ضره بما يقدر عليه من الأسباب، وإنما هو أمر انتقام عام من أشرار العباد، الذين أشركوا بالله، وظلموا وطفخوا في البلاد؛ لكن من رحم الله منهم فهو يعصمه ويحفظه، وقد اختص بهذه الرحمة من أمر بحملهم في هذه السفينة. (رشيد رضا، 1990: 66/12).

فكان محور الحديث والنقاش في يوم الفيضان ذلك اليوم الحاضر، بل أثناء ارتفاع الموج، وكان قد بدأ يرتفع في أثناء هذا الحديث حتى حال بين الولد ووالده (فكان من المغرقين) الهالكين. (رشيد رضا، 1990: 66/12).

الإحالة ب (أل) العهديّة، ودورها في...

الخاتمة:

حاول هذا البحث أن يقف على ظاهرة مهمة في التماسك النصي، وهي الإحالة. وتحدث عن صورة من صور الإحالة وهي الإحالة ب (أل) العهديّة فتحدثنا عن (أل) العهديّة وبيّنا أضرارها، ثم تحدث عن الإحالة وأنواعها، ثم أوضح دورها في التماسك النصي مطبقاً ذلك على آيات قرآنية، وقد خرج البحث بالنتائج التالية:

- 1- تنقسم أل العهديّة إلى ثلاثة أقسام عهد ذكري، وعهد ذهني، وعهد حضوري.
- 2- أن (أل) الجنسيّة تعمّ الجميع و(أل) العهديّة تخصّ فئة معينة من المقصودين.
- 3- أصل (أل) التي في الأعلام بالغلبة هي (أل) العهديّة، وذلك إذا كثر عهد فرد من أفراد جنس بين طائفة أو قوم صار اسم جنسه مع (أل) العهديّة كالعلم له.
- 4- فائدة (أل) العهديّة أنّها تفيد النكرة درجة من التعريف تُقربها من درجة العلم الشخصي، وإن لم تبلغ مرتبته وقوّته؛ وإنّما تجعلها في المرتبة التي تليه مباشرة.
- 5- تتصف بجمالية خاصة لا نجدها في غيرها؛ لما تقوم به على علاقات تلويحية ذهنية جميلة.
- 6- وظيفة (أل) العهديّة ليست شكلية على الإطلاق بل هي جزء فاعل في صناعة الدلالة، وهي أداة مهمّة وفاعلة في تماسك النصوص.
- 7- شكل الإحالة إلى العهد الذكري إحالة داخلية (داخل النص) بنوعها القبلية أو البعدية، في حين أنّ الإحالة في العهد الذهني تكون خارجية؛ أي خارج النص، والعهد الحضوري يكون نوع الإحالة مقامية؛ أي في المقام والمكان ذاته.
- 8- نجاح عمليّة الإحالة فهو قائم على قدرة المستمع على التعرف على المسمى الذي قصده المتكلم باستعمال العبارة المحيلة، وذلك لفهم الرسالة اللغوية الموجهة إليه.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

▪ أولاً- المراجع العربية:

1. الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، 1415 هـ، 2005م، دار الكتب العلمية بيروت.
2. الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي (905 هـ)، التصريح بمضمون التوضيح في النحو، ط1، 2000م، دار الكتب العلمية، بيروت.
3. الأستراباذي، رضي الدين (686هـ)، شرح الرضي على الكافية، جامعة قاريونس، 1398 هـ، 1978م، ليبيا.
4. أنيس، تامر عبد الحميد، الإحالة في القرآن الكريم، دراسة نحوية نصية، ط:1، 1429هـ، 2008م مكتبة الإمام البخاري، مصر.
5. البحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 1997.
6. بدوي، أحمد عبد الله البيلي، من بلاغة القرآن، 2005، نهضة مصر، القاهرة.
7. براون، يول، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: د.محمد لطفي الزليطي، د.منير التركي، 1418هـ، 1997م جامعة الملك سعود، الرياض.
8. البعلبكي، رمزي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، 1990م، بيروت.
9. أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ط:5، 1424هـ/2003م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
10. جمعة، حسين، في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية)، ط2، 2001، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
11. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط:4، 1407 هـ، دار العلم للملايين - بيروت.
12. حبنكة، عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية، أسسها وفنونها وعلومها، ط1، 1416هـ، 1996م، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.

الإحالة ب (أل) العهديّة، ودورها في...

13. حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ط6، 2009م، عالم الكتب، القاهرة.
14. حسن، عبّاس، النحو الوافي، ط15، 1974، دار المعارف، مصر.
15. أبو حيان، محمد بن يوسف (ت745هـ)، البحر المحيط، 1420هـ، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر . بيروت.
16. خطابي، محمد، لسانيات النص، ط:1، 1991م المركز الثقافي العربي، بيروت.
17. الخولي، محمد علي، معجم علم اللغة النظري، الدار الجامعية، 1992م، القاهرة.
18. درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (1403هـ) إعراب القرآن وبيانه، ط:4، 1415هـ، دار اليمامة - دمشق، بيروت.
19. الدوّلي، أبو الاسود، ديوان أبي الأسود الدؤلي؛ صنّعة: أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط2، 1998م، دار ومكتبة الهلال.
20. الديرزوري، عبد القادر ملاحويش آل غازي الفراتي، بيان المعاني، 1382 مطبعة الترقى، دمشق.
21. رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، 1990 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.
22. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (538هـ)، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
23. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، 1408هـ، 1988م مكتبة الخانجي، القاهرة.
24. السيوطي، جلال الدين (ت911هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.
25. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ت: مركز هجر للبحوث، 1424هـ . 2003م الناشر: دار هجر، مصر.

د. زياد أبو يوسف، محمد الشامي، مجلة جامعة الأقصى، المجلد الحادي والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2017

26. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1250هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت.
27. الصبّان، محمد بن علي، (ت 1206هـ) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة .
28. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي (310 هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، ط: 1، 1420 هـ - 2000م مؤسسة الرسالة.
29. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، «تحرير المعنى السديد وتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، 1984م الدار التونسية للنشر - تونس.
30. ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب (542 هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، 1413 هـ . 1993م، دار الكتب العلمية، لبنان.
31. عفيفي، أحمد، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ط1، 2004، مكتبة زهراء الشرق القاهرة مصر .
32. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (616هـ) التبيان في إعراب القرآن . ت: علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي.
33. العموش، خلود، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، "مثلٌ من سورة البقرة"، ط1، 1426هـ، 2005 عالم الكتب الحديث، إريد.
34. عيد، محمد، النحو المصقّى، مكتبة الشباب.
35. فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، 1986م المؤسسة العربية للناشرين، تونس.
36. القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط:3، (د،ت) دار الجيل - بيروت.
37. قطب، سيد، إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ط1، 1412، 17 هـ، دار الشروق، بيروت، القاهرة.

الإحالة ب (أل) العهديّة، ودورها في...

38. ابن كثير القرشي الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، 1420هـ - 1999م، دار طيبة للنشر والتوزيع.
39. المرادي، الحسن بن القاسم (749هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط1، 1992م، دار الكتب العلمية، بيروت.
40. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ)، لسان العرب، 1956م، دار صادر، بيروت.
41. ابن هشام، جمال الدين (ت761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، ط1، 2000م، الكويت.
42. الواحدي، النيسابوري، الشافعي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، أسباب نزول القرآن، ت: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط: 2، 1412 هـ - 1992 م، دار الإصلاح - الدمام،
43. يعقوب، إميل: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية. 1987، دار العلم للملايين، بيروت.
44. ابن يعيش، موفّق الدين (ت643هـ)، شرح المفصل للزمخشري، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، ط1، 2001، 1422م دار الكتب العلمية، بيروت.
45. وهبة، مجدي، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1974م.

▪ ثانياً: المراجع الأجنبية:

Gillian Brown and George Yule, Discourse Analysis, Cambridge: Cambridge University Press, 1983..
M. A. K. Halliday and Ruqaiya Hasan, Cohesion in English ,New York: Longman, 1976).

▪ ثالثاً مواقع الإنترنت:

مقال من الإنترنت بعنوان: الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه، لمحمد محمد يونس علي،
http://takhatub.blogspot.com/2009/06/blog-post_4712.html